ابناء الدامور من الملتزمين بالاحزاب اليمينية ، ويتكاتفوا مع الشباب الوطني وليعملوا معهم على رفع مستوى البلد من جميع نواحيه » .

غرور ومركبات نقص

وفي بلدتي الحمرة والمشرف القديمة والحديثة التقينا مع عائلات لم تغادر المنطقة الجنوبية باتجاه جونيه ولدى سؤالنا البعض منهم عن الاسباب ، قال الاخ بستاني : « كان يصور الصراع لنا على انه صراع طائفي وعبأت القوى اليمينية قسما من ابناء الدامور ضد جبهة الرفض تعبئة تنم عن حقد وفاشية وعبىء الطرف الماروني ضد الطوائف الاخرى . لكني شخصيا لم اقتنع بمثل هذا الطرح وفشلت كل المحاولات التي بذلت لكسبي وابنائي وابناء عائلتي الى صفوفهم وقد عملت مع بعض الخيرين من ابناء البلدة كميشيل فاضل على اساس نبذ المعركة وابعادها من المنطقة نهائيا . لكن يبدو ان الوعد الذي قطعته لنا الفئات الكتائبية والرابطة المارونية والاحرار لم يلتزموا به . لذا فالثمن الذي دفعته الدامور كان برأيي نتيجة لمركبات النقص والفطرسة التي كانت تتحكم بعقليات البعض » .

من يدفع الثمن ؟

البيت الذي تواجدنا فيه كان عبارة عن خلية كل القرى المجاورة يفدون الى هذا البيت للعمل مع من بقي من ابناء الدامور لتشكيل لجان للعمل على اعادة ابناء الدامور الذين نزحوا الى الكسليك وجونيه .

قال احد ابناء عون - واكد الجميع ما يقوله : عدد الشباب الذين عملوا مع الاحزاب اليمينية يتجاوز المئة وعشرون شابا بالاضافة الى بعض تعاطفوا معهم . وهؤلاء عملوا مع هذه احزاب لاسباب التالية :

1 - قسم من الشباب تلاقت مصلحته المادية مصلحة هذه الاحزاب ، فكانوا يبيعون جريدة العمل - الناطقة بلسان الكتائب بالقوة وليس للمارة على الشارع الدولي بل يفرضون عها على الاهالي وبالسعر الذي يناسبهم ، فة الى فرض الخوة والبالغة في بعض الاحيان ون الف ليرة لبنانية .

- قسم ممن التزم حزبيا كانت له مصلحة ية القصد منها البروز أمام ابناء الدامور يتسنى له تأمين الفوز في انتخابات البلدية او لكي يراهن على هذه الاحزاب كمفاتيح ابة مستقبلية لبعض المرشحين .

- والقسم الثالث، وغالبيتهم شباب بالطبع، يتخذون من بيت الكتائب مركزا للهو كر والعربدة .

وتساءل الحاضرون : هل كان علينا ان ندفع كل هذا الثمن ، لقاء نزوات بعض الشباب ؟ لقد تمادى بعضهم وحاولوا تجنيد الاهالي لكي يتسنى لهم الدفاع عن انفسهم ، ضد من ؟ كنا نتساءل وكانوا يجيبون : ضد المقاومة الفلسطينية والطوائف الاخرى . ولماذا ايضا ؟ يقولون « اننا سنتعرض لهجمات من قبل الاحزاب الوطنية مما سيجعلنا نذوب بالنهاية في صفوفهم ، وهذا يشكل خطرا على حضارتنا كموارنة وخطرا على الامتيازات التي حصلنا عليها بفضل تفوقنا » !

وعن موقف الاهالي من عملية قطع الطريق الدولية وخطف المواطنين الوطنيين وقتلهم وتعذيبهم .. قال احد ابناء اندراوس : « تسعون بالمائة من ابناء البلدة كانوا ضد هذه الاعمال .. كنا نعارضها بالاحتجاج والاعتراض لاننا كنا نعلم ان للباطن جوله ، وفي الفترة الاخيرة وصل الامر بين الاهالي وبين اعضاء الاحزاب اليمينية الى حد القطيعة والصدام بالايدي . لكن ما العمل .. استطيع القول اننا كنا نعيش ضمن « غيتو كتائبي - شمعوني » كل السلطة كانت لهم .. وقاطعه احد ابناء الهاشم ليعدد الحوادث الشنيعة التي كان بعض افراد الحزب الكتائبي يقدمون عليها كنسف كاراج او مدخل منزل من لا يتبرع لهم اضافة الى استفزاز بعض ابناء البلدة الوطنيين .. عدا عن قطع الطريق الذي يضر بعلاقاتنا مع أبناء الجنوب والقرى الشوفية المحيطة .

اين تقع المسؤولية ؟

وعن سبب عدم نزوحهم الى الكسليك وجونيه ؟ قال احد ابناء اندراوس : رغم ما حل بمنازلنا اثناء عملية اقتحام الدامور لم يكن اسفنا شديدا كما تصور البعض وبالذات نحن كفئات معتدلة ، اذ ان خروج افراد الكتائب والوطنيين الاحرار كان همنا الاول . وانا شخصيا لا احمل المقاومة الفلسطينية ولا الحركة الوطنية هذه المسؤولية مباشرة انما كان عليهما منع نسف المنازل بعد احتلال الدامور كما كان من الواجب عليهم ضبط التصرفات الفردية التي اقدم عليها بعض الشباب الذي لا تربطه بالفئات الوطنية أية رابطة وذلك لان هذه الاعمال ، باعتقادي ، تسيء للاطراف الوطنية فلسطينيا ولبنانيا . أما لماذا لم ننزح الى الكسليك أو جونيه ؟ فهذا عائد الى عدم قناعتنا بترك ارضنا وبلدتنا التي تربطنا بها روابط تاريخية تمتد لعشرات السنين . ثم لاننا نؤمن بضرورة التعايش بين ابناء الطوائف . »

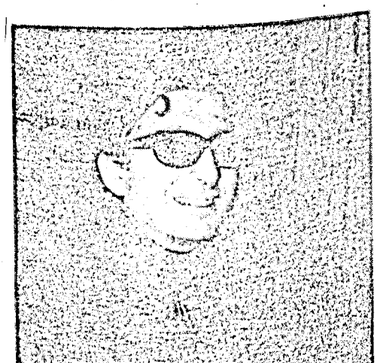

في وكر المؤامرة

هنا تلتقي باناس لعبت المعارك التي دارت في مناطقهم دورا في تغيير قناعاتهم ، ورد الفعل هذا كانوا ممن ذهبوا الى الكسليك وجونيه - اي استمروا حتى اخر الشوط .. وهناك نتعرف على ما حدث لهم من افواههم ..

ايلين وجاكلين م. توقعتا بعد حملة الدامور انهن لا شك ستتعرضان للتنكيل والتعذيب فلجأتا مع من لجأن الى قصر السعديات « وكر المؤامرة » على حد تعبيرهن « هناك شاهدنا بأم اعيننا كيف عاملنا ابن النمر - كميل شمعون - معاملة لا تحسدنا الكلاب عليها . بل نحن الذين كنا نحسد الكلاب . الدامور سقطت وشمعون يداعب كلابه ويطعمهم وامهاتنا والاخرون يتضورون جوعا .. قمة السادية تجسدت أمام اعيننا ونحن نشاهد تلك المناظر ، عندما صفع شمعون الغفري - رئيس البلدية - عرفنا قيمتنا اكثر لدى من كنا نعتبره رئيسنا - اي لا قيمه لنا طالما ان من هو بمركز اكبر من مركزنا يهان ويشتم أمام الجمهور ... والمأساة التي حصلت عندما توجهنا الى البحر كانت صراعنا مع الموت » .

فاقد الشيء لا يعطيه

وتابعت ايلين وجاكلين م. حديثهما فقالت الاولى : كم من الاشخاص غرق اثناء محاولتهم التمسك بالقوارب . كم من محافظ النقود فقدت . وكانت رحلة لن انساها ما بقيت حية . هناك في جونيه مكث بعضنا اربع عشر ساعة على الشاطىء ومنا من كانت المياه تغمره حتى منتصفه .. ننتظر رحمة شربل قسيس وشاكر ابو سليمان . ولما جاء « الفرج » كانت المأساة اخذنا نحشر كالحيوانات وسط عائلات عديدة في غرف المدارس او الكنائس . فالقيم احترام الغير والتقاليد الاجتماعية لا وجود لها ..

وقالت جاكلين : « صحيح انه فيما بعد حصلنا على القوت والفراش وغيره لكن وجدنا بعد سلسلة الندوات التي اقيمت لنا ان شبح المؤامرة لا يزال يلاحقنا - والقيمين على المحاضرات استمروا في تعبئتنا ضد الطوائف الاخرى وضد المقاومة واليسار الدولي .. الخ .. ولم يكتفوا بذلك بل طلب من كل عائلة ان تقدم خيرة شبابها لكي يتسنى لهم تحرير الدامور ثانية على حد زعمهم . كان المطلوب منا تقديم هذا الثمن كضريبة على مساعدتنا في النجاة . ثم بعد ان بدأت تصلنا اخبار أهالينا الذين لم ينزحوا الى المناطق الجبلية اي الذين بقوا في القرى المحيطة وعرفنا ايضا ان الامن قد استتب في المنطقة وان مضيفيهم يعاملونهم معاملة طيبة جدا ، ادركنا اننا سندفع ضريبة بقائنا عند شربل قسيس وشاكر ابو سليمان ارواحا وعرقا وجهدا . لكننا بالاساس لم ننزح من أجل هذا السبب ، بل نزحنا لاننا فقط كنا نود ان ننجو بحياتنا . لكن زعماءنا السياسيين - شمعون والجميل وشربل القسيس - حاولوا ابتزازنا . هنا قررنا العودة رغم ما حل بمنازلنا . فكل هذه الخسائر تعوض ، المهم اننا ادركنا الان - وبعد فوات الاوان - ان المؤامرة كبيرة اذ كنا نتصور اننا - شعب الله المختار بالنسبة لابناء الطوائف الاخرى وبالنسبة للعرب قاطبة .

سقطت هذه المزاعم بعد ان كسرنا القمقم وانفتحنا على ابناء الفئات الوطنية . صحيح ان المدة لم تزد عن الخمسة ايام ، لكن الرسالة تعرا من عنوانها - المعاملة حسنة والاحترام متبادل والافكار التي حملناها اليوم تتلاءم وروح العصر ... اكثر تطورا وقابلية للتحقيق من الافكار الجامدة التي حملناها سابقا .

حسابات البنوك السرية

أما « جان » فقد قال : معذرة اذا لم اعطيك اسم عائلتي -- لقد فقد قادتنا السابقون رشدهم بعد سقوط المعاقل الثلاث على حد زعمهم سابقا « الدامور - السعديات - الجية » وكل طرف منهم يحاول تحميل الطرف الاخر مسؤولية ما حصل في القرى الثلاثة . برأيي ان ما حصل بالدامور كان نتيجة طبيعية لسلسلة ممارسات اقدم عليها شباب حزبي الكتائب والوطنيين الاحرار : خطف وقتل وتعذيب وقطع طرقات .. الخ . وتبين لي ان الشباب الملتزم بالاحزاب المذكورة لم تكن لديهم قناعة بالتضحية لحماية بلدتهم اذ ان انتماءاتهم والتزامهم كان مرده الارتزاق او البروز في البلدة ، والفطرسة . والمعاملة السيئة التي عاملنا بها حتى اهالي البلدة انفسهم : فرض الخوة ، نسف بعض البيوت جعلتنا نخسر تأييد الاهالي لنا . في السعديات لم نلق المعاملة التي كنا نتوقعها وكان كميل شمعون يريد من كل ابناء الدامور ان يموتوا لا دفاعا عن البلدة انما لكي لا يهتز رصيده في الشارع المسيحي وبالذات لدى الموارنة . كان يود ان يزايد على الشيخ بيار الجميل وغيره من الزعماء . ولما تلقفتنا أيدي شربل قسيس في جونيه وجدنا ان هذه الفئات التي تتزعم الموارنة تعمل بشكل افرادي لكسب أكبر عدد ممكن من الانصار والمحاسيب . وبالمحصلة النهائية وجدنا ان الكل يعمل لجمع الهبات والتعويضات باسمنا ثم اعطاءنا جزءا يسيرا منها والباقي يصب بحساباتهم السرية . اذ ما معنى ان يدفع لي الف ل.ل وقيمة خسائري تتجاوز المليون ليرة . اقتنعت اخيرا بضرورة العودة على ان اعمل لبناء حياتي من جديد ، خاصة بعد ان استتب الامن هنا واكتشفت بنفسي مدى المغالطات التي كنت قد ارتكبتها بحق الغير واساءة الظن التي لازمتني بوطنية ابناء الطوائف الاخرى . بصراحة اقول ان زعماءنا السابقين صهاينة جدد صلبوا المسيح .

كل من بقي في هذه المناطق من أهالي الدامور وكل من عاد من الكسليك وجونيه وكسروان بعمل بنشاط ضمن عدد من اللجان لاعادة ابناء الدامور النازحين . والكل يناشدون بصدق هؤلاء الاخوة عودتهم لبلدتهم ولعل صوت جورجيت ابنة الاحدى عشر عاما يعبر عن ذلك بوضوح ، اذ قالت : اتمنى ان تعود الدامور دون هؤلاء المسلحين ، وان تفتح المدارس ، والتقي زميلاتي اللاتي اشتقت لهن . معاملة الناس لي هنا جيدة .. أناشد زميلاتي الضغط على اهاليهن للرجوع .. ليحضروا فحرامات الناس بها دفء اكثر من الحرامات التي اعطتنا اياها الرهبانية . اناشد الجميع العمل على حماية لبنان من المسلحين الذين كنت اشاهدهم في جونيه » .

« اسامة »